الانجيل، وتثبيتهما على انهما تاريخ واحد يتمّم بعضه بعضاً. هذه الفكرة الخاطئة حُفرت في الثقافة والفكر الغربي القديم والعصري، وفي الثقافة الأولية للفكر العربي أيضاً، وتستند الى أوتاد عدة، لعلّ أهمها:

- ان الثقافة العبرية أساس الثقافات الحضارية ـ عبر التوراة.
- اطروحات التفوّق العرقي لليهود المستندة، أيضاً، الى التوراة.
- إعتبار الدين اليهودي رابطة قومية.
- إستيلاد الحركة الصهيونية عبر هذه الرابطة القومية المزعومة.
- إعتبار جوهر الاخلاق المسيحية، كتقليد عبري[1].

ولا يخفى ما لمثل هذه الاحكام من خطورة تفوق في خطورتها النواحي السياسية؛ اذ استطاعت الحركة الصهيونية، بمثل هذه المفاهيم، إقامة تاريخ عرقي للثقافة والحضارة، يتغلغل في الفكر الغربي، ويبدأ بالدين اليهودي لينتهي بالصهيونية[2].

لقد ساهم عدد من الباحثين في تناول الحضارة العبرية وأصولها، الّا ان هذا لم يكن كافياً وفعّالاً لتجريد الحركة الصهيونية من الهيمنة التي إكتسبتها، بادعاءاتها ان الدين اليهودي هو نتاج عبقرية شعب بعينه، وبأنه المنبع الاساس للمسيحية، وما تبعها من حضارات فكرية ودينية.

لا بدّ لنا، هنا، من العودة الى الاصول للتدليل على ان الدين اليهودي لم ينبع من ذاته، بل استفاد واستغل حضارات العصور القديمة. ونستند الى علم الآثار وتنقيباته في بلاد ما بين النهرين وفي مصر؛ اذ ان الالواح المكتشفة في مكتبة «آشور بانيبال» في العراق، وفي رأس شمر (اوغاريت) على الساحل السوري، وفي مصر، ألقت الاضواء على الاصول الحقيقية لكتابهم الأساس: التوراة، أي على أهم منجزات الثقافة العبرية. وكشفت هذه الالواح الآثارية عن ان الثقافة العبرية، لم تكن الّا خلاصة وضع حضاري سابق، كان سائداً في بلاد الكنعانيين وما بين النهرين ومصر الفرعونية، ويتضح ذلك مما يلي:

اولاً ـ التطابق بين احدى صلوات اخناتون الفرعوني الى الشمس والمزمور الرقم ١٠٤ من سفر المزامير[3]. قال اخناتون: «العالم في ظلام كأنه الموت. الأسود تخرج من جحورها، والظلام يسود. وعندما تشرق في الأفق يتلاشى الظلام، وكل يذهب الى عمله. تزهر كل الاشجار، والنباتات تتفتح، والطيور ترفرف في أعشاشها. والخرفان ترقص وتثب على أرجلها. والسفن تمخر عباب الماء صعوداً هبوطاً. والاسماك في النهر تقفز أمامك، وأشعتك في وسط البحر العظيم. كم هي متعددة أعمالك، لقد خلقت الارض وفقاً لمشيئتك، وكل من عليها من ناس وحيوان...». ونقرأ في المزمور الرقم ١٠٤ «تجعل الظلمة، فيصير ليل فيه تدب كل حيوان الارض. الأشبال تزمجر لتخطف وتلتمس من الرب طعامها. تشرق الشمس، فتجتمع في مآويها وتربض، الانسان يخرج الى عمله والى شغله حتى المساء. تشيع أشجار الرب أرز لبنان الذي نصبه حيث تعشش هناك العصافير. أمّا القلق، فالسرو بيته. الجبال العالية للوعول، والصخور ملجأ الوباء... هذا البحر الكبير واسع الاطراف، هناك دبابات بلا عدد، صغار حيوان مع كبار. هناك تجري السفن... ما أعظم أعمالك يا رب... كلها بحكمة صُنعت...